علاقة اليهود بالمجتمع الفاسي من خلال مخطوطة (قصة المهاجرين المسمين اليوم بالبلدين)

دكتور/ عطا علي محمد رية

الباحث في التاريخ الإسلامي

المقدمة:

تعتمد هذه الدراسة على مخطوط «قصة المهاجرين المسمين اليوم بالبلدين»، هذا المخطوط يتناول دراسة العلاقة بين المسلمين واليهود وتوجد منه عدة نسخ[1] ، حيث

(١) واحدة في الخزانة العامة بالرباط ضمن مجموعة تبدأ برقم (٤٣٣) وتنتهي برقم (٤٤٦)، وهي تحت رقم (٣٦١٨). عبارة عن أربع عشرة ورقة من الحجم المتوسط، ومقاسها ١٥,٥سم - ١٠,٥سم وعدد أسطرها في المتوسط ٢٦ سطراً، وعدد متوسط الكلمات كل سطر أربع عشرة كلمة، وهي مكتوبة بخط مغربي عادي مقروء إلى حد ما .

أما النسخة الثانية فقد حصلت عليها من الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (٢٠٧ك) وهي ضمن مجموعة أيضًا تبدأ برقم (٤٦٧)، وتنتهي برقم (٤٩٢)، وهي مصورة على ميكروفيلم، وتقع في ستة وعشرين لقطة وحجمها صغير ومسطرتها ١٥-٩,٥سم، وعدد سطورها تسعة عشر سطر، ومتوسط عدد كلماته إحدى إحدى عشرة كلمة مكتوبة بخط مغربي دقيق ومقروء إلى حد ما.

أما النسخة الثالثة فقد حصلت عليها من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة مصورة عن الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٦٢٧) تاريخ وهي ضمن كناشة بها ١٠ مخطوطات، وهذه النسخة التي سوف أعتمد عليها في دراستي، مخطوطة قصة المهاجرين الخامسة في التسلسل، وهي مصورة ميكروفيلم وتقع في اثني عشر لقطة مكونة من (أ، ب) وحجمها ٢١-٢٩سم، وعدد سطورها عشرون سطر، ومتوسط عدد كلماته سبع كلمات في كل سطر، مكتوبة بخط مغربي ومقروء إلى حد ما، وتكاد تكون كلمات كل من النسخ متطابقة مع بعضها البعض إلا فيما ندر، وكاتب المخطوطة كما ذكر محمد المنوني مجهول.

واختلف المؤرخون في كاتب هذه المخطوطة فمنهم من يقول أبو القاسم الزياني. انظر: عبدالعزيز بن عبدالله: الموسوعة المغربية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ١٣٦٩هـ/ ١٩٦٧م، ج٣ ص٥٤، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م، ج٣ ص٤٢٢، بينما نجد محمد المنوني يقول: «وينسبها البعض - خطئًا- لأبي القاسم الزياني. انظر المصادر العربية لتاريخ المغرب الفترة المعاصرة، المملكة المغربية، ١٤٠هـ- ١٩٨٩م، ج٢ ص٣٩، كما يوجد في أرشيف الخزانة العامة بالرباط ومعهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت مسمى مؤلف مجهول.

يركز كاتبه على مشاكل اليهود الاقتصادية ورذائلهم الاجتماعية فترة زمنية طويلة من تاريخ المغرب الأقصى وتاريخ مدينة فاس بصفة خاصة، وهذا المخطوط يقدم مسحًا تاريخيًا لليهود في فاس على امتداد عشرة قرون، فيبدأ من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي وينتهي بالقرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

ويبدأ الباحث باستعراض تاريخي سريع عن اليهود منذ بناء مدينة فاس[1]، واستقرارهم بها في عهد إدريس بن إدريس (١٨٦-٢١٣هـ/ ٨٠٢-٨٢٨م)[2]،

---

(١) مدينة فاس: مدينتان مفترقان مسورتان، والمدينتان عدوة الأندلسيين وأسست عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، وعدوة القرويين أسست عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م، في عهد ولاية إدريس، ويخترق المدينة ثمانية أنهار عليها نحو ستمائة رحى في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولا نهارًا، تدخل من تلك الأنهار في كل ساقية ماء، وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها، لذلك كثر صبغ الملابس بالصبغة الأرجوانية وفيها ثلاثة جوامع منها جامع عدوة القرويين، وجامع الأندلس، ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء كثيرة البساتين والفواكه، وفي عهد السلطان يعقوب بن عبدالحق أمر ببناء فاس الجديدة عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م لحاشيته وأهل خدمته وأولياته، وخص بها حي لليهود يسمى حي الملاح. انظر البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص٨٨ وما بعدها، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، دار الشئون الثقافية، بغداد ١٩٧٦، ص١٨٠، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، جـ٥ ص٢٣٠، عطا أبو رية: اليهود في بلاد المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطاسيين، دار الكلمة سوريا ١٩٩٩م، ص٨٠-٨١ . وغلان: أحد أبواب فاس، وهو ما بين حومة اليهودي وحومة البليدي. انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم١ ص٣٣٠ .

(٢) إدريس بن إدريس: هو إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ، مؤسس الدولة الإدريسية أول دولة عربية (شيعية) قامت بالمغرب الأقصى، ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها، ولما دعا أخوه محمد النفس الذكية لنفسه بالخلافة ضد الهادي ١٦٩هـ/ ٧٨٦م قامت بينهما موقعة فقر من هذه الموقعة إدريس بن عبدالله بصحبة مولى له اسمه راشد إلى مصر، فتلقوا مساعدة عامل البريد الذي سهل لهم عملية الهروب التي استمرت سنتين وأخيرًا وصل إلى مدينة وليلى ونزل على قبيلة أوربة التي أجارته وأكرمته، واجتمع عليه البربر لما عرفوه فقاموا بدعوته وخلعوا طاعة بني العباس، ونادوا به إمامًا يوم الجمعة ٤ رمضان عام ١٧٢هـ/ ٧٩٠م وخرج بجيوشهم غازيًا ففتح المغرب ومكن الإسلام فيه، ودخل تلمسان وبنى بها مسجدًا، وامتدت سلطته إلى ما وراء شلف بالمغرب الأوسط، وقتل مسمومًا بمدينة وليلى عام ١٧٥هـ/ ٧٩١م تارك زوجته البربرية حاملاً فوضعت له بعد شهرين طفلاً سمي بإدريس بن إدريس بن عبدالله وقبر إدريس بن عبدالله بجبل زرهون. انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: إبراهيم=

وقيامهم بالنشاط الاقتصادي، وانشغالهم بالحرف والصناعات المختلفة، ثم انتقالهم إلى فاس الجديدة[1] في عهد يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٨٥-١٢٨٦م)[2]، بسبب الحوادث التي قامت بينهم وبين المسلمين عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، ونتيجة لهذه الأحداث أسلم الكثير من اليهود وأطلق عليهم اسم المهاجرين، وهم الذين اعتنقوا الإسلام حديثًا مع إخفاء ديانتهم الأولى، ونظرًا لكثرة خداعهم وأعمالهم بالربا، أجبرتهم الدولة على عمل

= الإبياري، دار المعارف، مصر، جـ٨، ص١٩٢-٢٠٤، ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت ١٩٨٣م، جـ٤، ص١٧، البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى بغداد، ص١١٨، ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج سي كولان، ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٨٣، جـ١، ص٨٢، ص٨٣-٢١٠، ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني قسم٣ دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب ١٩٦٤م، ص١٩١، ابن القاضي: جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة، الرباط ١٩٧٣م، قسم١، ص١٦-١٨ .

(١) فاس الجديدة: دار الإمارة، بنى بها الجامع الأعظم والسوق، وأمر الوزراء وأشياخ بني مرين ببناء الدور بها، إلى جانب حي عرف باسم الملاح- وهو المكان المخصص لسكنى أهل الذمة- ومع مرور الزمن خصص لسكنى اليهود، وجلبت لفاس الجديدة الماء العذب من عين عمير، وللمزيد انظر الملزوزي: مصدر سابق، ص٧٧ وما بعدها. ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط ١٩٧٢، ص٤٠٤، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة الورقية الرباط ١٩٧٣، ص١٦١ . مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبدالقادر زمامة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٩، ص٢٩ . ابن خلدون: العبر مجلد٧ جـ١٤ ص٤٠١ . ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن. تحقيق: ماريا خيسوس، الجزائر ١٩٨١، ص١١٥، إسماعيل ابن الأحمر: روضة النسرين في تاريخ دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٩١، ص٢٩ .

(٢) أبو يوسف بن عبدالحق: ولد في ربيع الأول عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م وبويع بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس ٦٥٨هـ/ ١٢٨٦م كان كثير الصيام والذكر كريمًا جوادًا لم تسقط له قط راية ولم يكسر له جيش، وهو الذي قطع دولة الموحدين ودخل مراكش عام ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩، وللمزيد انظر الملزوزي: نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، الرباط ١٩٦٣، ص٧٧ ومابعدها. ابن أبي زرع: ص٤٠٤، الذخيرة السنية، ص١٦١ . مجهول: الحلل الموشية، ص٢٩ . ابن خلدون: العبر، نسخة أخرى بدون تحقيق، بيروت، م٧، جـ١٤، ص٤٠١ . ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن، ص١١٥ .

وارتداء زي معين، فوجد اليهود في الإسلام الحرية والسماحة، فاستغلوا ذلك للكيد من المسلمين الأغيار (أي ليسوا على الدين اليهودي)، والتلمود يبيح لهم عمل هذا مع عدم الضرر بالديانة الأولى.

بينما الذين أسلموا في السابق أطلق عليهم الإسلاميون، أما البلديون فهي تسمية أطلقت على المهاجرين من الأندلس في العصر السعدي[1] ، ومازالت مستعملة حتى اليوم[2] ، وسوف نقوم بدراسة المخطوطة المصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة والتي تحمل رقم (١٦٢٧هـ) تاريخ.

علاقة اليهود بالعامة:

وعند تأسيس مدينة فاس عام ١٩٢هـ/ ٨٠٧م في عهد إدريس الثاني، وجدت بعض قبائل يهودية[3] في منطقة زرهون[4] قرب

---

(١) الدولة السعدية: اختلف المؤرخون حول تسمية هذه الدولة، فقيل: نسبة لحليمة السعدية، وقيل لقبها العامة بالسعديين تيمنًا لأنهم سعدوا بدولتهم، وقيل: إنهم من ولد محمد النفس الذكية، وقامت الدولة على أساس ديني سياسي عام ٩١٥هـ/ ١٥١٢م، ويرى السعديون أنهم أحق بالملك من بني وطاس الذين فشلوا في ضم المغرب والدفاع عن أرضه ضد المستعمر الأجنبي، وتولى الحكم عدة حكام أقوياء لعبوا دور كبير في طرد المستعمر البرتغالي والأسباني، وعلى رأسهم أحمد المنصور الذهبي قائد معركة وادي المخازن التي هزم فيها عدة دول مسيحية، واستمرت الدولة إلى أن انهارت، وتولى حكم المغرب الدولة العلوية عام ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م للمزيد انظر إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ص ٢٤٢-٢٩٧ .

(٢) محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب ١٩٧٨، جـ١ ص٢٧٣ .

(٣) مثل قندلاوة ومديونة وبهلولة وغيائة وبنو قازان. انظر ابن خلدون: العبر، م٦ جـ١١ ص٢١٤ . حول التهود انظر عطا أبو رية: اليهود في ليبيا وتونس والجزائر، دار إيتراك للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٥، ص٣١-٤٨ .

(٤) زرهون: جبل يقطنه زواغة (بطن من البربر البرانس) وهم أغنياء شرسون كثيرو العدد، ويبدو الجبل من بعيد كأنه غابة كثيفة من أشجار البلوط، ولكنها أشجار البلوط، ولكنها أشجار الزيتون، وزرهون من ملحقات مكناسة الزيتون وتجارتهم الرئيسية زيت الزيتون الذي يحملونه إلى فاس وغيرها من المدن وتفتخر نساء زرهون بجمالهن وزينتهن، ويتحلين بأساور وأقراط من ذهب وفضة، ولباسهم من صوف غير رقيق. انظر الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣م، ج١، ص٢٩٤-٢٩٥، مارمول كربخال: أفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زنبير، محمد الأخضر، دار نشر المعرفة المغرب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج٢ ص١٨١-١٨٢، الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٨٣، ص٦٠٩ .

فاس[1] ، لذلك سمح لهم إدريس الثاني بالسكنى داخل أسوار فاس، حيث ظلوا هناك وأقيمت علاقات بينهم وبين السكان المسلمين، حيث اتسمت هذه العلاقة بالأمن، وخيم عليهم جو من التسامح، لذلك قصد إليها كثير من اليهود ممن رغب في العافية، وأنزلهم إدريس الثاني بناحية واغلان[2] إلى باب حصن سعدون[3] . . فغرسوا البساتين، وبنو الدور، والحوانيت، والأرباع، ورتبهم أحسن ترتيب في الإسكان وتعمير، والاحتراف بالحرف التي تقوم بها المدينة، فأنزل كل قبيلة منها[4] ما يناسبها بالموضع الذي تقرب منه الحرفة التي رآها تناسبها، وأذن لها باتخاذها، وأمر أن لا تحترف قبيلة بما تحترف به الأخرى؛ لأن ذلك يؤدي إلى الغش والمكر والخديعة ودخول الربا والحسد، ثم رتب الأسواق أحسن ترتيب بأن جعل كل سوق خاص بنوع لا يُباع فيه سواه، ولا تصنع فيه سوى تلك الصنعة ثم جعل على كل حرفة أو سوق أمينًا، بحيث إذا ظهر على أحد غش وخديعة أو ربا عزر وطافوا به في الأسواق[5] .

من ذلك يتضح أن إدريس وضع قواعد للعمل في السوق حتى لا يظهر ما اشتهر به اليهود من الخديعة والغش والربا في حياتهم، ووضع هذه القوانين في بداية التأسيس خيراً، حتى إن فكر أحد في الغش يكون العقاب كما ذكر في المخطوط «أخرجه من السوق»[6] والذي يسمى

---

(١) قصة المهاجرين المسمون اليوم بالبلديين، معهد المخطوطات العربية، مصورة عن الخزانة العامة بالرباط تحت رقم (١٦٢٧) تاريخ ورقة ١ أ .

(٢) وغلان: أحد أبواب فاس، وهو ما بين حومة اليهودي وحومة البليدي. انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم ١ ص٣٣٠ .

(٣) باب حصن سعدون: أحد أبواب فاس، مكان هذا الباب قوس سوباط حومة الحضارين، فوق رحبة الزرع القديمة، انظر ابن القاضي: مصدر سابق قسم١ ص٣٣، ومن الواضح أن إدريس حدد مكانهم حتى لا ينخرطوا بالمسلمين.

(٤) قصة المهاجرين ورقة (١ أ)، يظهر من ذلك كثرتهم وتعداد القبائل اليهودية،وهذا ما أكده ابن خلدون: العبر، م٦ ج١١ ص٢١٤ .

(٥) قصة المهاجرين ورقة (١، أ) .

(٦) قصة المهاجرين ورقة (١، ب).

القيسارية[1] ، والتي تحتوي على كافة أسواق كل صنعة[2] ، وبهذه القسمة وتحديد مهام كل صاحب حرفة صلحت أحوال من سكن بها حيث أدى ذلك إلى عدم التحاسد، ولم يظهر غش ولا خداع، وإن ظهر أخرجه أمين سوق الحرفة[3] .

ولم يعرض المخطوط لأي غش ولا خداع وقع من اليهود في المغرب الأقصى منذ أن بنيت المدينة[4] حتى تولى أمر فاس أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٥٦-٦٨٥هـ/ ١٢٥٨-١٢٨٦م)، ولكن بالبحث وجد أن اليهود في المغرب الأقصى على عهد الأمير علي بن يوسف المرابطي (٥٠٠-٥٣٧هـ/ ١١٠٧-١١٤٣م) حرم عليهم دخول مراكش[5] إلا نهاراً فإن دخل

(١) القيسارية: هي اسم مشتق من اسم قيصر أي الإمبراطور، مكان يقع وسط فاس عليه سور ولها اثنا عشر باباً كبيراً مغلقًا بسلاسل غليظة من الحديد تستعمل كحواجز لمنع دخول المارة إليها وهم ركوب، وتضم خمسة عشر زقاقًا للدكاكين. انظر الحسن الوزان: مصدر سابق، ج١، ص٢٤٢، مارسول كربخال: مصدر سابق، ج٢ ص١٤٨ .

(٢) حول هذه الصناعات والحرف، انظر ورقة (١،ب) .

(٣) كان لكل حرفة أمين على أصحاب الحرفة ويختارهم المحتسب ويكون الأمين ممثلاً للسلطة الإسلامية بينهم، ويعاون الأمين مجلس من كبار معلمي الحرفة. انظر أحمد مختار العبادي: من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، بحث بمجلة عالم الفكر، م١١، عدد١، الكويت ١٩٨٠م، ص١٣٦ .

(٤) حول عدم غش اليهود طوال هذه الفترة أمر مشكوك فيه نظراً لتعودهم على ذلك؛ لأنهم متبعون توراتهم التي تطلب منهم غش الأغيار، وإلا أصبحوا غير يهود، ويؤيد ذلك التلمود الذي لا يلوم اليهودي إذا تعدى على الأجنبي- المسحي والمسلم- لأن نظرتهم للأجنبي كبهيمة. انظر صالح محمود صالح: الإنسانية والصهيونية والتلمود، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨٠، ص٤٢ .

(٥) مراكش: مدينة بناها يوسف بن تاشفين عام ٤٠٧هـ/ ١٠٧٧م، وقيل: ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م اشترى أرضها من أهل مدينة أغمات اختطها له ولبني عمه، وهي في وطأة من الأرض ولا يوجد جبال حولها سوى جبل إيجليز ومنه قطع الحجر الذي بنى به قصر علي بن يوسف أمر المسلمين الذي استخرج المياه فكثرت البساتين، ثم بنى سورها، ثم انتقل الحكم إلى الموحدين فأكثروا بها الساقيات والقصور والمنازل إلى أن اتسعت مراكش فكانت أكبر مدن المغرب وبنيت فيها الفنادق والحمامات وأقيم فيها قيسارية عظيمة البنيان وكثر بها شجر الزيتون أكثر من زيتون مكناسة وزيتها أرخص وأطيب، وهواؤها طيب، لذلك بنى بها مارستان للمرضى واستدعى العلماء ورواة الحديث وأهل الفنون المختلفة، وقصدها التجار من كل جهة وصارت حاضرة المغرب وقاعدة البلاد وتناهت ضخامتها وانقادت إلى طاعتها أقاليم المغرب والأندلس وغيرها إلى أن اختلت الأحوال، ووقعت الفتن وفشا فيها الظلم والفجور. انظر الحميري: الروض المعطار، ص٥٤٠-٥٤١، مجهول: الاستبصار، ص٢٠٨-٢١٠، ياقوت: مصدر سابق، ج٥ ، ص٩٤-٩٥ .

الليل عليهم خرجوا منها، وإذا عثر على يهودي استباح ماله ودمه[1] ، ولا أظن أن تشدد المرابطين عليهم، وبغضهم لهم يرجع إلى سبب ديني أو عداء عقائدي، وإنما سببه غدرهم ونكثهم للعهود والمواثيق[2] ، ولم توضع أية قيود على اليهود فيما يتعلق بأنشطتهم الاقتصادية، فيما عدا استثناءات طفيفة مثل منع بيع الخمر ولحم الخنزير للمسلمين[3] ، فقد حرم ذلك عليهم.

ومن الواضح أن اليهود لاقوا بعض المتاعب في عهد الدولة الموحدية، بسبب ما كانوا يقومون به من مكايد، لذلك شاركوا العامة في مهن اعتبراها بعض المؤرخون اليهود حقيرة[4] ، لكنهم خصوا اليهود بها كنوع من العقاب، ولكن المغرضين صوروا حياة يهود المغرب الأقصى على هذا النحو الذي يجافي الحقيقة، حيث عاش اليهود ومازالوا يعيشون في سماحة الإسلام، ولم يفرض عليهم سوى زي معين وهو ثياب كحيلة وأكمام مفرطة السعة تصل إلى قريب من أقدامهم، وبدلاً من العمائم قلنسوات تبلغ إلى آذانهم، ثم تغير ذلك في أيام أبي عبدالله الموحدي بلباس ثياب صفر وعمائم صفر[5] ، وقد يكون الداعي إلى هذا التميز اشتباه أمرهم في زمن أصبحت فيه بلاد المغرب من أقصاها إلى أقصاها بلاد إسلام، يشهد بذلك المراكشي في قوله: «ولم ينعقد عندنا ذمة ليهودي ولا نصراني منذ أن قام أمر المصامدة ولا في جميع بلاد المسلمين بالمغرب بيعة ولا كنيسة. إنما اليهود يظهرون الإسلام ويصلون في المساجد ويقرؤون أولادهم القرآن جارين على ملتنا وسنتنا. والله أعلم بما تكن صدورهم

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٤م، ج١ ص٢٣٥، أبو الفدا: تقويم البلدان، مكتبة المثنى بغداد، مؤسسة الخانجي القاهرة (د.ت)، ص١٢٤، الحميري: الروض المعطار، ص٤٦-٤٧ .

(٢) محمد الحبيب بن خوجة: يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٣م، ص ٢٩ .

(٣) مجهول: قصة المهاجرين ورقة (١ أ) . جوايتاين: دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م، ص١٦٧ .

(٤) إبراهيم القادري بوتشيش: الإسلام السري، دار سينا للنشر والتوزيع، القاهرة، ص١٨٠ .

(٥) محمد الحبيب بن خوجة: نفس المرجع، ص٣٠ .

وتحويه بيوتهم»[1] ، ولكنه يراجع نفسه ويعلق هذا الأمر على المشيئة خوفًا من خطئه وعدم إيمانه بإسلامهم، ولذلك كان الموحدون يطردون اليهود الأندلسيين والمغاربة المشكوك في عقائدهم وأفكارهم إلى مدينة اليسانة[2] .

ومن هنا نجد مؤرخًا يقول: «ساد المغرب اضطرابات بدأت عام ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م ولم تتوقف لمدة قرنين من الزمن وعاش كثير من اليهود في شبه عزلة[3]، ولذلك هرب بعضهم إلى الجنوب وسكنوا البوادي، ولكن هل دخل كل اليهود الإسلام؟ ولم يكن ذلك حيث نجد يهودا بن سلمون بن وركا يذكر أن مائة وخمسين يهوديًا رحبوا بالموت في سلجماسة هربًا من اعتناق الإسلام، وأسلم الباقون، وكان منهم قاضي سلجماسة[4] ، وهذا ما يؤكد أن صاحب المخطوط كان عامًا في أحكامه، كما يظهر مدى التواجد اليهودي الكثيف الذي كشف عنه الحسن الوزان، ومارمول كربخال في رحلتيهما ووجد مدى الكثافة اليهودية المتكدسة في الجنوب المغربي[5] .

ومع ظهور بوادر التسامح الديني الذي بدأ مع الخليفة المأمون الموحدي (٦٢٦-٦٣٠هـ/ ١٢٢٩-١٢٣٢م) وتخليه عن أفكار المهدي بن تومرت، وفكرة المهدي المنتظر، وإصدار كتابه إلى البلدان يمحوا اسم المهدي من السكة والخطبة[6]، كان ذلك بداية عصر ازدهار لليهود في المغرب الأقصى، وزاد مع استيلاء المرينيين على السلطة، خاصة وأنها ليست صاحبة أيديولوجية بل دولة

---

(١) المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٣، ص٣٨٣ .

(٢) أبو الوليد بن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، ص٦ . اليسانة: مدينة بالأندلس وهي مدينة اليهود ولها ربض يسكنها المسلمون وبعض اليهود وليس على الربض سور، والمدينة محصنة بخندق عميق حولها ومليء بالمياه وأهلها أغنياء. انظر الإدريسي: مصدر سابق، ج٢ ص٥١٧-٥٧٢ .

(3) Grawzel Solomon, A History of the Jews, America, 1948, p. 724 :

(٤) حاييم زعفراني: ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان المغرب، ١٩٨٧، ص١٥ .

(٥) انظر: وصف أفريقية، ج١ ص٩٥-١٨٩، أفريقية، ج٢ ص٥-١٤٣ .

(٦) ابن خلدون: العبر، م٦ ج١٢ ص٥٠٣ .

ذات مسئولية سياسية، ولذلك لاقى اليهود في عصرها قدراً كبيراً من الحرية والتسامح، إلى أن وقعت الواقعة العظمى لليهود في ثاني شوال من سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، حيث قامت العامة على اليهود وقتلت منهم أربعة عشر رجلاً، وسلبوا أموالهم، وذلك بسبب ادعاء إحدى الجاريات أن أحد اليهود قد اغتصبها قسراً في دارة، ولما علم أبو يوسف بهذه الحادثة، ركب بنفسه وأمر بطرد العامة من أماكن اليهود، وأمرهم بالكف عنهم، وأرسل من ينادي في المدينة بعدم التعرض لأحد من اليهود[١] .

ولخوف اليهود من هذه المعاملة أسلم البعض منهم تماشيًا مع الوضع السائد، ومن هنا أطلق عليهم لفظة المهاجرين، فكانوا يعايرونهم، وهؤلاء احترفوا بحرف المسلمين وبعضهم عمر الأسواق والقيسارية وغيرها من أسواق المدينة، فظهر منهم الغش والخيانة والمكر والخديعة ومعاملة الربا[٢] .

ومن أساليبهم في الخداع يرصدها مؤلف قصة المهاجرين فيقول: «يجعل الواحد منهم بحانوته ما هو أعلى وما هو أدنى، ويرى المشتري الأعلى ويتردد معه في الثمن الذي يقع به البيع مهم، ثم يحوز من يده ما أراه من الأعلى ويرده لحانوته ثم بعد عقد البيع يعطيه الأدنى غير الذي أراه له أولاً، والمشتري غير عارف يظنه أنه هو الذي اشترى منه أولاً»[٣] وكثر خداعهم للناس في المعاملات مع الحاضر والبادي وصارت تتحدث عنهم النوازل[٤] لما لا يوجد لها في الشرع نص، وكثرت في ذلك الأسئلة والأجوبة عند العلماء، وتعددت الدعاوي عليهم في ذلك من أهل الحواضر والبوادي[٥] .

---

(١) ابن أبي زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، ص١٦١، مجهول: قصة المهاجرين ورقة ٣ أ.

(٢) مجهول: قصة المهاجرين ورقة ٣ أ.

(٣) مجهول: قصة المهاجرين ورقة ٣ ب.

(٤) النوازل: هي القضايا والوقائع التي يقضي فيها القضاة طبقًا للفقه الإسلامي، عبدالعزيز بن عبدالله: معطيات الحضارة المغربية، الرباط، ١٩٦٠، ج١ ص١٦٧ .

(٥) لم يتناول صاحب المخطوط أي ذكر لليهود ومعاملتهم في الحواضر والبوادي سوى مدينة فاس، ولكن بالرجوع إلى الحسن الوزان في وصف أفريقيا، نجده يتناول الكثير من العلاقة بين اليهود والبربر في عدة صفحات، وكذلك مارمول كربخال في أفريقية، ج٢ في عدة صفحات .

ولكثرة مـا أحدثوا في الدين ما ليس منه، عزم قـاضي فاس[1] عن التخلي عن القضاء، لعدم وجود نص يحكم به على ذراعهم الذي وصل إلى حد أشياء ما ليس في الشريعة من أفعال، لذلك لم يجـد السلطان عندما استشار العلماء، فـقـالوا لا ينقطع ذلك منهم إلا بإخـراجـهم من تلك الحـرف، ومن التـجـار بالقيسارية وتخصيصهم بحرف دنيئة[2] .

وللأسف سار مـؤلف المخطوطة حول الشائعـات التي روجها اليهـود حول ترك هذه الحـرف لهم، ولم يذكـر صـاحب المخطوطة أن كـثـيـرًا من المسلمين احترفـوا مثل هذه الحرف، مثـل سعيد بن مـحمد بن الحداد، وأحمـد المعروف بالصـواف، محـمد بن مـسرور النجـار، ومحـمد بن عـباس النحـاس، وابن الصباغ[3] ، وهذه الأسماء وما ارتبطت به من حرف لأكبر دليل للرد على اتهام اليهود للمسلمين وإثبـات أن المسلمين لم يجبروا اليهود على امتهـان حرف دنيئة بل إنهم كانوا مجبرين لهذه الحرف للتكسب منها[4] خيرًا من مسألة الناس[5] .

وقد أثار هـذه رغبة البـاحث في الكشف عن حـقيـقة هذا الاتهـام الموجه للمسلمين من اليهـود الذين يحسون دائمًا بالدونية؛ لأنهم كـانوا يشعرون بأنهم دخلاء على أي وطن، إلى جـانب كثرة غـشهم وخداعـهم، مما أدى إلى النظر إليهم كأقلية من الناحية الاجتماعـية والاقتصادية والسياسية، وانعكس ذلك على احترافـهم لمهن وحرف معينة مـارسوها، ولم تكن هذه الحرف مقـصورة عليهم

---

(١) يبدو أن قاضي فـاس المستقبل هو أبو أميـة الدلائي حيث عينه الأمير عـبدالحق قاضيًا على فـاس بعد بنائها، انظر ابن أبي زرع: الذخيرة السنية، ص١٦١، ١٦٢ .

(٢) البكري: المغرب فـي ذكر بلاد أفريقـية والمغرب، ص١٤٨، الحـميري: الروض المـعطار، ص٣٠٦، عز الدين أحمـد موسـى: النشاط الاقـتصـادي في المغرب خـلال القرن السـادس الهجـري، دار الشروق، القـاهرة، ١٩٨٣، ص١١١-١١٣ .

(٣) أبي العرب: طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت (د.ت)، ص١٤٨، ١٥٢، ١٧٧، ١٧٨، ٢١٥ .

(٤) الحميري: مصدر سابق، ص٣٠٦ .

(٥) محـمد رواس قلعجي: الاحـتراف وآثاره في الفقه الإسـلامي، المركز العالمي لأبـحاث الاقتصـاد الإسلامي، جدة، ١٩٨٤، ص٢ .

وحدهم، فقد مارسها غيرهم من سكان المغرب الأقصى في المدن التي تخلو من اليهود، وخاصة في الشمال المغربي حيث يقل التواجد اليهودي، لذلك عمل في هذه الحرف الهاربون من شظف المعيشة في الريف، واللاجئون من الأندلس إلى المدن المغربية، التي توجد فيها حرف لا يرضى أصحاب المدينة العمل بها فتكون من نصيبهم، مثل الحجامين والبنائين والكناسين والكنافين، ولم يجبر اليهودي على القيام بأعمال محتقرة في نظر الغير، إلا في أيام التشدد الديني في عهد دولتي المرابطين والموحدين[1] ، وفيما عدا ذلك لم توضع أية قيود على اليهود فيما يتعلق بأنشطتهم الاقتصادية، والدليل على ذلك أن أسرة الديب اليهودية بأزمور[2] ، كانت على علاقة بأصدقاء مسلمين بفاس ومراكش ومناطق أخرى، كما كان بعض التجار اليهود الكبار محتكرين لبعض المواد الخام، وعلى علاقة بالسلطة الحاكمة[3] .

ورغم تناول مؤلف المخطوط ذكر يهود فاس، إلا أنه أغفل حادثة خليفة بن رقاصة وأخيه إبراهيم وغيرهم، فبدأ خليفة بن حيون بن رقاصة مع السلطان يوسف بن يعقوب منذ صباه، يعصر له الخمر، ويجهز له الخلوة مع الندماء، مستترًا بها عن أبيه يعقوب بن عبدالحق لمكانته من الدين والوقار، وعندما توفى يعقوب تولى ابنه يوسف السلطنة، فانفرد خليفة بن حيون بن رقاصة بخلوته مع السلطان والندماء، واستمر آل رقاصة في شغل وظيفة القهرمانة لمدة طويلة؛ لأنهم كانوا عائلة، الأكبر خليفة وأخوه إبراهيم، وابن عم يسمى خليفة لقبوه بالصغير، وكان معهم في

---

(١) عز الدين موسى: مرجع سابق، ص١١١،١١٣ .

(٢) أزمور: مدينة على نهر أم الربيع، قريبة من المحيط الأطلسي، لذلك يفد إليها كثير من التجار البرتغاليين، وتشتهر بصيد الأسماك، وتحصل منها عوائد كثيرة ويقطن المدينة يهود وهم الذين سلموا البلاد للاستعمار البرتغالي بفتح أبواب المدينة لهم سبتمبر عام ١٥١٣م/ رجب ٩١٩هـ. انظر الحسن الوزان: وصف أفريقيا، ج١ ص١٥٧-١٥٨، مارمول كربخال: أفريقية، ج٢ ص٨٧-٩٨، بوشارب أحمد: التجربة الاستعمارية بدكالة ودور بعض الفئات الاجتماعية في إرساء قواعدها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد عبدالله، فاس، العدد١، المغرب ١٩٧٨، ص٣٢٨ .

(٣) مارمول كربخال: أفريقية، ج٢ ص٢٥، حايم زعفراني: مرجع سابق، ص٩ .

قهرمانة القصر موسى كبير بني السبتي صهراً لخليفة ابن حيون وخلفًا له في قهرمة القصر[١] . واستمر خليفة بن حيون وعائلته في قهرمانة القصر إلى أن أصبحوا مركز ثقل، وكان الخاصة يتلقون الأوامر من زعيمهم خليفة بن رقاصة، فصارت له الوجاهة بينهم وعظم قدره بين الوزراء والشرفاء والعلماء[٢] ، أي قام مقام الحاجب، مما جعل السلطان يوسف بن يعقوب يستريب من أعمالهم فالتفت إليهم وإلى أفعالهم، وأطلعه على ذلك كاتبه أبو محمد بن عبدالله بن أبي مدين[٣] ؛ لأن لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب[٤] ، وخاصة عندما يكون الحاجب يهوديًا ويعمل لحساب طائفته.

ولذلك قام السلطان أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق باعتقالهم في شعبان من سنة ٧٠١هـ/ ١٣٠١م بمعسكره أثناء حصار تلمسان، وقتل خليفة الأكبر رأس الأفعى، وأخاه إبراهيم، وبنى السبتي بعد أن امتحنوا ومثل بهم، ولم يترك السلطان يوسف من آل رقاصة إلا خليفة الأصغر احتقارًا لشأنه.

وفي عهد السلطان سليمان بن عبدالله يوسف بن يعقوب الذي تولى الحكم عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م اتخذ خليفة إبراهيم المعروف بالأصغر حاجبًا له، ولم يتعظ هذا السلطان بما فعله بنو رقاصة مع جده أبي يعقوب يوسف بن يعقوب ابن عبدالحق في عام ٧٠١هـ/ ١٣٠١م وكان عمره إحدى عشر سنة وقت نكبة بني رقاصة لأنه توفى وعمره عشرون سنة[٥] ، وكان أبو خزر خليفة في يده كل شيء لدرجة أن عبدالله بن الشيخ الصالح أبي مدين شعيب المعروف بأبي مدين كان لا يفصل في شيء رغم ما عرف عن عائلة أبي مدين في ديوان الإنشاء والعلامة[٦] .

---

(١) ابن خلدون: العبر، م٧، ج١٣، ص٤٨٣، ٤٨٤ .

(٢) المصدر السابق، م٧، ج١٣، ص٤٨٣، ٤٨٤ .

(٣) السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٥، ج٣، ص٨١ .

(٤) الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، المكتبة التجارية، القاهرة، (د.ت)، ص٩٢ .

(٥) ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٣٣ .

(٦) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة (د.ت)، ج٥ ص١٩٨، محمد عيسى الحريري: تاريخ الغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم، الكويت ١٩٨٥، ص٢٦٥ .

فكان أبو مدين لا يقدم على أمر حتى يأخذ رأي ابن أبي خزر خليفة، الذي تمتع عند السلطان بمكانة كبيرة، لدرجة أن كثيراً من أفراد الجيش من بني مرين كانوا ينادونه بسيدي أبي خزر، لتعظيم السلطان سليمان له وتوليته كل شيء في الدولة، ولكن وضع خليفة إبراهيم لم يستمر طويلاً؛ لأن مصيره كان مصير من سبقه من هذه العائلة اليهودية[١] .

ونرجع إلى المخطوط حيث يذكر أن الحرف التي تركت لليهود كان الغش فيها خفيفًا[٢] وبنظرة للحرف التي تركت لهم حسب ما يذكر صاحب المخطوط هي حرف الدنانير والدراهم، وصنع فراشيل[٣] الصوف، والحجامة، والخرازة، وبيع الآدام، وبيع اللبن[٤] ، وهذه الحرف نجدها حرفًا ذات مكاسب كبيرة مثل تغيير العملة والخرازة وبيع الجلد وحرف أخرى[٥] ، ولكن من السهل مراقبة المحتسب والأمناء لهم من حيث الكيل والتقليب والاختبار. ولكن ما هو مصير من غش منهم بعد ذلك؟ هو الطواف بالأسواق والتعزير[٦] ، ولا يحترفون سوى ما ذكر.

علاقة اليهود بالسلطة:

استقر الحال إلى آخر دولة بني مرين في عهد عبد الحق بن أبي سعيد المريني[٧] عندما تم تعيين وزيراً يهوديًا هو هارون وحاجبه شاويل وقائد شرطة الحسين

---

(١) ابن الأحمر: بيوتات فاس الكبرى، الرباط، ١٩٧٢، ص٥٨ .

(٢) قصة المهاجرين، ورقة ٤ أ .

(٣) أي الفرس التي ينظف بها الصوف.

(٤) قصة المهاجرين ورقة ٤ أ .

(٥) نفس المصدر والصفحة .

(٦) التعزير: هو عقوبات غير مقدرة، وتختلف مقاديرها وصفاتها حسب كبر الذنوب وصغرها وبحسب حال الذنب وقلته وكثرته. انظر ابن تيمية: الحسبة في الإسلام، دار الشعب، القاهرة، ص٨ .

(٧) هو آخر سلاطين بني مرين، ثارت عليه العامة بفاس بتحريض من الفقيه الخطيب عبدالعزيز الورياغلي وقتلوه عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م. انظر ابن القاضي: الجذوة، قسم١، ص٣٨٨ .

اليـهودي[1] ، وأول شيء قـام به هذا الوزير اليهـودي، هو ضرب أهل فـاس ومصادرة أمـوالهم، والتحكم في الأشراف والفقهاء وعـامة فاس[2] ، وزاد من سخط العامة على الدولة أنها لم تستطع حـماية طنجة من هجمات البرتغاليين، فاستولوا عليها عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م بواسطة اليهود[3] .

كمـا أفلست الدولة لدرجة أن السلطان وافق على مـشاريع الوزير هارون، وهي تحصـيل عدة ضرائب ممن كـان بفاس من علماء وشـرفاء وصلحاء وعـامة الناس، إلى جانب ذلك لجـأ إلى خديعة كـبرى، حيث طلب من المهـاجرين أن يجمعوا هدية فجمعـوها له وصاروا بها إلى السلطان عبد الحق المريني، وقال له الوزير: إن المهاجرين دفعوا لك تلك الهدية، على أن يعمروا في قيسارية فاس، ويدفـعوك لك في كل عـيد، فـأذن لهم في العـمارة، مع من بهـا من التجـار المسلمين، ولما جاء مـيعاد العيد قـال اليهود المهاجرون للتـجار المسلمين: اعطوا معنا الهدية ومن لم يعطها معنا لن يعمـر معنا، وكان التجار قبل ذلك لا يعطي أحد شيـئًا، لا في عيد ولا في غـيره، ولا سمعـوا به أبدًا منذ أن بنيت فاس، فمن أعطى تركوه، ومن لم يعط معهم أخبـروا به اليهودي الحسين قائد الشرطة وأخرجوه من السوق[4] .

ولم ينته الأمـر إلى هذا الحد الذي صـار عبارة عن شـرارة، بل وصل بهم الأمر إلى أن يـأتوا إلى ناظر الأحبـاس، ويقولون له: بع لنا هذه الجلسـة بكذا وكذا على ألاَّ يجلس فيها أحد سـوانا، وفي حالة امتناع ناظر الأحباس، يسعى اليـهودي إلى الحـسين اليـهودي حـيث يأمـره بالبيع؛ لأنه ثمـنه يدفع للسلطان عـبـدالحق المريني نظرًا لحـاجـته للمـال، ولم تمر إلا أيام قـليلة إلا وباع أغلب حوانيت قيسارية فاس للمهاجرين، سـواء ما كان محبوسًا أو له صاحب، حيث

---

(١) قصة المهاجرين ورقة ٤ ب.

(٢) المصدر السابق نفسه .

(٣) مارمول كاربخال: أفريقية، ج٢ ص٨٧ .

(٤) قصة المهاجرين ورقة ٥، أ، ب.

كان يجلس في الحانوت صاحب الحانوت الرافض للبيع أو المشتري بالإكراه وهو اليهودي وجعل الوزير اليهودي من قائد شرطته سيفًا على أعناق أهل فاس وأصحاب القيسارية مما جعلهم يبيعون حوانيتهم في القيسارية في أشهر معدودة مجبرين، وكل ذلك بعلم وتحت سمع السلطان المريني عبدالحق[1] ، واشتدت أذيتهم للناس مدة ملكه حتى لم يفلت من قبضة الحسين اليهودي إلا أقلية قبلت على نفسها دفع مزيد من الضرائب، مما زاد من سخط الناس على اليهود والسلطان.

وبلغ اليهود ذروة سطوتهم في السنوات الأخيرة لدولة بني مرين ٨٧٩هـ/ ١٤٧١م، ولكن جرى ما لا تشتهيه السفن، حيث كان رد فعل العامة مما ارتكبه هؤلاء اليهود من أفعال، فقاموا بالثورة بتحريض من العلماء، فقتلوا السلطان عبدالحق المريني، ووزيره اليهودي هارون وقائد شرطة الحسين، ولم تقتصر هذه المذبحة على فاس فحسب، بل عمت مدن المغرب الأقصى، ومن المفارقات أن تحدث هذه المذابح في نهاية حكم الأسرة المرينية التي لاقى فيها اليهود كثيرًا من التسامح ووصلوا إلى أعلى المناصب.

ولم يتعرض مؤلف المخطوط إلى وضع اليهود القادمين من الأندلس في عهد الدولة الوطاسية، حيث ساد التسامح فقد عاملهم «محمد الشيخ الوطاسي»[2] عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م معاملة طيبة، فعندما طلب المهاجرون الأندلسيون والغرناطيون النزول بتطوان من السلطان المذكور كتب إلى عامله بشفشاون علي بن راشد العلمي أن يرسل رجلاً صالحًا لبناء الأسوار، فبعث محمد بن علي المنظري الأندلس الأصل الشفشاوني الدار للقيام بهذه المهمة.

---

(١) قصة المهاجرين ورقة ٥ ب.

(٢) محمد الشيخ: ولد عام ٨٧٦هـ/ ١٤٧١م بفاس، عاش مدة ضعف الدولة المرينية، ونجا من بطش عبدالحق المريني، وأخذ على عاتقه إنقاذ البلاد من الاحتلال البرتغالي لذلك دخل في حروب عدة انتهت باحتلال البرتغال لأغلب شواطئ المغرب، وتوفي محمد الشيخ عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م. انظر السلاوي: الاستقصا، ج٤، ص١١٩- ١٤٠، إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج٢ ص١٦٩- ١٧٢ .

ويصف أحد المؤرخين المحدثين السلطان «محمد الشيخ» بأنه كان سلطانًا عادلاً ليس لأنه عامل اللاجئين اليهود من أسبانيا معاملة طيبة، ولكنه عامل الشيخ محمد بن عبدالكريم المغيلي حامل لواء العداء لليهود في «فاس» معاملة قاسية[١] ، كما أنه حاول تعديل وضع اليهود الديني بعد طردهم من أسبانيا عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٥م فترك لهم الحرية الدينية[٢] .

وفي بداية عهد الدولة الوطاسية توالت الهجرات الأيبيرية على «فاس» وغيرها من مدن المغرب الأخرى، وازداد عددهم ونتج عن هذه الزيادة كثير من المشاكل الاجتماعية والصحية، وحاول «محمد الشيخ الوطاسي» حل المشاكل، فأنشأ معسكرًا ليهود السافرديم Sepherdim[٣] خارج نطاق المدينة وأمدهم بالطعام[٤] .

وحمل هؤلاء اليهود معهم ثقافتهم وتقاليدهم وعاداتهم لأيبيرية الأكثر رقيًا بالمقارنة باليهود المستقرين بالمغرب، وكان وصول هذه الجماعات الوافدة على أرض المهجر الجديد، ونتيجة الاختلاف الحضاري بين الوافدين والمستقرين سبب في ظهور الخلافات حول مسائل العبادة وغيرها، فحدث نزاع شديد بن اليهود المستقرين والوافدين حول موضوع الذبائح وطريقة اختبار رئة الحيوان المذبوح وخلافه، وانتصر رأي الوافدين وأصبح قاعدة عامة، وأخذت بها كل الطوائف اليهودية[٥] .

---

(١) أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم عبد الحميد الهرامة، ليبيا، ١٩٨٦م، ص٤١٤ .

(2) Gerber: Morocco, London, 1965, p25 .

(٣) السفري نسبه إلى «سفرد» وهو اللفظ الذي يطلق على أسبانيا باللغة العبرية، والسفرديوم هم يهود شبه الجزيرة الأيبيرية، وعمم هذا الاسم لكي يشمل كل يهود الشرق وأفريقيا منذ القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، وتميز السفرديوم بالمستوى العالي من الثقافة لاستفادتهم من الحضارة الإسلامية بالأندلس، وتظاهر بعضهم بالمسيحية عام ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، وكانوا يقومون بالعبادات والطقوس اليهودية سرًا، ثم عادوا إلى اليهودية بعد خروجهم من أسبانيا وهجرتهم إلى شمال أفريقيا. انظر حاييم زعفراني: مرجع سابق، ص٢٧ .

(4) Gerber: Op. cit., p. 25 .

(5) Ibid: pp. 115-116 .

وخالف محمد البرتغالي سياسة والده تجاه اليهود، حيث اتخذ سياسة الجهاد ضد البرتغاليين، والتجأ إلى العلماء لتأييد سياسته تجاه البرتغال، ولشدة احتياجه للمال لتنفيذ هذه السياسة، فرض على اليهود إتاوات مالية باهظة قدرت بخمسين ألف درهم[١]. وعادت سياسة مهادنة اليهود في عهد أحمد الوطاسي، ومما يدل على تحسن العلاقات بين اليهود، وأحمد الوطاسي اتخاذه قراراً برفع الخصومات عن اليهود، وكان هذا القرار بتاريخ ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م[٢].

وعندما أبعد أبو العباس أحمد الوطاسي عمه «أبو حسون» عن عرش فاس عام ٩٣١هـ/ ١٥٢٤[٣] ذهب إلى «بادس» وهناك استخدم اليهود في مهام دبلوماسية، وكان أحدهم يدعى إبراهيم القرطبي Abraham Cordovi- ويبدو من اسمه أنه كان من المهاجرين الأسبان- ذهب في بعثه إلى البرتغال عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م وفي أحد التقارير التي صدت عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م يتضح أن أبو الحسون كان له سكرتيراً يهودياً يسمى سانانس Sananes[٤]. ففترة حكم الوطاسيين تميزت بالعلاقات الطيبة بينهم وبين اليهود مع وجود بعض الفترات النادرة التي شذت عن هذه القاعدة.

ويستمر صاحب المخطوط في سرده لغش اليهود في قيسارية فاس وأسواقها وبقائهم بها وخروجهم منها إلى أن تأتي الدولة السعدية، فيبدأ مؤلف المخطوط في عرض الصراع الدائر بين الفقهاء حول الإباحة بالتعمير أو الخروج.

اليهود والفقهاء:

لم يختلف الوضع في دولة بني وطاس عما كان في عهد دولة بني مرين، حيث قام الأمير أبو العباس أحمد بن محمد الملقب بالبرتغالي بن محمد الشيخ بن

---

(1) Ibid: p.25 .

(2) Ibid: p. 25 .

(١) الكراسي: عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل، تقديم عبدالوهاب بن منصور، الرباط ١٩٦٣م.

(4) Hirschberg: A History of the Jews in North Africa, Volume 1, Leiden 1974, p. 414 .

يحيى بن زيان الوطاسي[1] آخر ملوك بني وطاس، وكان قد استعمل على مكس المغرب رجلاً يقال له: المنجور الإسلامي، وكان يرفع في مكس فاس ألف دينار عن كل سنة، واستشار الأمير أبي العباس فأذن له، فباع لليهود السوق وعمروا فيه، وطلب من التجار المسلمين أن يدفعوا مع اليهود، ومن امتنع أخرجه المنجور الإسلامي وعمر مكانه مهاجراً يهودياً[2].

واستمر الوضع هكذا واستغرق المنجور وغرقت ذمته، وكطبيعة أي سلطة جديدة تستمع لشكوى الرعية التي شكت من غدر وخيانة وسيطرة المهاجرين على القيسارية، وقد توترت العلاقة بفاس بين المسلمين واليهود، فقام محمد الشيخ المهدي الحسني الدرعي السعدي[3] باتباع أسس الصراع بينهما حيث اعتمد على التراث المتراكم في الصراع بين المسلمين واليهود حول قيسارية وأسواق فاس، مستعينًا بآراء الأمراء والفقهاء من عصري بني مرين وبني وطاس محتكمًا للأغلبية في جواز تعمير القيسارية والأسواق للمسلمين ومنع اليهود.

فدعا المسلمين وأخبروه بما جرى لهم من الحسين اليهودي والمنجور الإسلامي بالبيانات المسطرة زمان بعد زمان، وأوقفوا محمد الشيخ المهدي على فتاوى العلماء الذين قالوا بمنع المهاجرين، فأمر الأمير بإحضار المهاجرين ومعهم أجوبة من أفتى لهم بالتعمير، وبالبحث من قبل محمد الشيخ المهدي، وجد من قال بالمنع أكثر عدداً وعدالة، فرأى القول بالمنع هو الصواب والأكثر عدالة، فأمرهم بالخروج من الأسواق والحرف، وأن لا يعمروا أحداً إلا ما أمر به يوسف

---

(١) أحد ملوك فاس، وخلعه من الحكم أبو عبدالله المهدي، وحمله أسير إلى مراكش عام ٩٥٦هـ/ ١٥٤٨م، وتوفي عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م. انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم١ ص١١٤ .

(٢) قصة المهاجرين ورقة ٥ أ.

(٣) مولاي محمد الشيخ المهدي الحسني الدرعي: ولد سنة ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م، وبويع بمراكش سنة ٩٥١هـ/ ١٥٤٤م، بعد استيلاؤه عليها وعلى أملاك أخيه أبي العباس الأعرج، وواصل فتوحاته حتى دان له المغرب كله، وكان عالمًا أديبًا فقيهًا، حفظ ديوان المتنبي، وأخذ عن كثير من مشايخ عصره، مثل ابن غازي والونشيرسي، قتلته غدراً جماعة من الترك، وذلك سنة ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م. انظر ابن القاضي: الجذوة، القسم ١، ص٢١٢، الوفراني: نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي ص٢٣ .

ابن يعقـوب بن عبدالحق المريني، وأن ما حكم به الأمـير عبدالحق وأحـمد الوطاسي خلاف الصواب ينبذ ويفسخ شرعًا لمخالفتهـم لأكثر العلماء عددًا وعدالة وأنهما خالفا الشرع[1] .

وفي عهد الدولة السعدية، وانشغال سلطان المغرب أحمد المنصور الذهبي[2] بحروبه مع البرتغال، وغزوه لبلاد السـودان الغربي، ولى مدينة فاس ابنه مولاي محمد المدعـو بأبي الشيخ المأمون[3] ، وكان معه أبو العـباس المنجور[4] الفقيه العلامة الإسـلامي، وطلب اليهود تدخل أبو العباس المـنجور الإسلامي ويتكلم معـه- الأمير محـمد- وله هدية ولصاحـبه هدية، ولذلك طلب مولاي محـمد بإحضار الفـريقين- المسلمين والمهاجرين- وحـضر كل فريق ومعـه أدلته، ومال

---

(١) قصة المهاجرين، ورقة ٥ب، ٦أ .

(٢) أحمد المنصور الذهبي: هو أبو العباس أحمد بن عبدالله محمد الشيخ المهدي أحد سلاطين الدولة السعدية، ولد بفـاس ٩٥٦هـ/ ١٥٥٠م، وهي سنة استيلاء السـعديين على الحـكم، تبحـر في العلم، درس على يد عـديد من الفـقهـاء والعلمـاء، وتم تعينه بالسلطنة عـام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م وفي هذه السنة استطاع هزيمة البرتغـاليين هزيمة منكرة في موقـعة وادي المخازن، والذي توفى فـيها أخوه الذي أوصى بـه للسلطنة، وقام أحمد المنصور بفتح أقاليم كثيرة في السودان الـغربي، وجدد النظم الإدراية، وحدثت في عهد حركة إحياء للدولة السعدية في جميع المجالات الإدارية والمعمـارية والثقافية، ومات في فاس عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م. انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم١ ص١١٤، الوفراني: نزهة الحادي، ص٧٧ .

(٣) أبو عبد اللـه بن الشيخ المأمون: كان حاكـمًا على فاس في حيـاة أبيه المنوصر الذهبي، وتمت له البـيعة بولاية العهد عام ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م، وفي شوال من عام ٩٩٢هـ/ ١٥٨٥م، جدد له والده المنصور البيعة وأخذها من أخوته؛ لأنهم كانوا في بـيعته الأولى قبل سن البلوغ، فـأراد بتجديد هذه البيعـة أن يضع حدًا للخلاف بين الأخوة. وبعد وفاة المنصور عام ١٠١٢هـ/ ١٥٩٣م اختلف الأخوة الثلاث على خلافة أبيهم المنصور، فثار مـحمد الشيخ المأمون وزيدان وأبو فـارس بن عبدالله لاعتلاء السلطة، وقـامت الحروب بينهم وانفرد زيدان بالدولة السعدية بعد مقتل أخويه أبو فارس ومحمد الشيخ عام ١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م. انظر الوفراني: نزهة الحـادي، ص٨٣، عـبدالكريم كـريم: المغـرب في عـهد الدولـة السعـدية، الرباط، المغـرب ١٩٧٧م، ص٣٢٨ .

(٤) هو أحمد بن علي بن عـبدالرحمن بن عبدالله النجور المكناسي النجـار، ولد عام ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م، له عدة مؤلفات مـثل الفوائد لمحصل المقاصد، وهو أسـتاذ ابن القاضي، وأحمد المنـصور الذهبي، توفى بفاس ١٦ ذو القعدة عام ٩٦٥هـ/ ١٩ أكتوبر ١٥٨٧م. انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم١ ص٣٥ .

الأمير محمد لصالح المنع، ولكن لتواطئ أحمد المنجور الإسلامي، ألح على الأمير بالإباحة لمن يؤتمن من المكر والخديعة والربا والغش، ومن ظهر عليه يمنعه من السوق والاحتراف في الحرف الرفيعة، وأيده في ذلك الفقيه القصار[1] في اقتراحه الذي رفضه قبل عشرين سنة الفقيه أحمد الونشريسي[2] ، عندما اقترحوا عليه ذلك من قبل.

ولكن مولاي محمد لم يأخذ بآراء الفقهاء وأصحاب القول بالمنع وأباح لهم وذلك عام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، ولرد جميل القصار تم تعيينه مفتيًا لفاس وخطيب وإمام جامع القرويين[3] ، وهذا العمل أثار حفيظة المسلمين على المهاجرين، مما دعا الأمير للتدخل، ولكن الفقيه القصار قال بمنع من يظهر الغش والخديعة وغيرهم في ذلك سواء، وحكم بنفس الحكم السابق، واستمر الوضع حتى في عهد ولده مولاي عبدالله بن محمد بن المأمون، والتي كثرت في عهده الشكوى من المهاجرين.

ولكن نظرًا لأن عبدالله بن محمد بن المأمون كان قارئًا عالمًا بالحديث والتفسير والفقه وفروعه وأصوله والتاريخ والأنساب، فأثرت هذه الثقافة فيه،

---

(١) القصار: هو أبو عبدالله محمد بن القيسي الأندلسي الفاسي الغرناطي، أحد محدثي المغرب وفقهائه في القرن الحادي عشر الهجري، ولد في عام ٩٣٩هـ/ ١٥٣٢م، وتوفي عام ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م. انظر عبدالسلام بن سودة: دليل مؤرخي المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٠م، ص١٠ .

(٢) الونشريسي: هو أحمد بن يحيى بن محمد بن عبدالواحد بن علي مفتي تلمسان ونزيل مدينة فاس، ولد بونشريس أحد مدن المغرب الأوسط وأخذ الكثير عن فقهائها، ورحل إلى فاس وأخذ من علمائها إلى أن أصبح أحد فقهاء فاس وله كتاب قيم هو المعيار المعرب والجامع المغرب في فتاوى علماء أفريقية والمغرب والأندلس، وله تأليف آخر في الفقه المالكي يسمى إيضاح المسالك في قواعد مذهب مالك، ولغزارة علمه تولى التدريس بجامع القرويين، توفى سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م. انظر ابن القاضي: جذوة الاقتباس، قسم١، ص١٥٦-١٥٧ .

(٣) جامع القرويين: غاية في الكبر، يبلغ محيط دائرته نحو ميل، وله واحد وثلاثون بابًا كلها كبيرة عالية، وتبلغ المساحة المغطاة فيه نحو مائة وخمسون ذراعًا، وأقل بقليل من ثمانين ذراعًا عرضًا، والصومعة التي يؤذن عليها عالية جدًا، ويحمل السقف ثمانية وثلاثون قوسًا طولاً، وعشرون عرضًا، ويوقد فيه كل ليلة تسعمائة سراج، فيه وحده مائة وخمسون مصباحًا، وفي داخل الجامع يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء الأساتذة. للمزيد انظر الحسن الوزان: وصف أفريقية، جـ١، ص٢٢٤ .

حيث رجع إلى حكم أبي يعقوب بن عبدالحق المريني المرجعية التاريخية في ذلك المشكل الدائم فأخرجهم[1] ، ولكون مؤلف قصة المهاجرين متأخرًا فقال: «والناس في هدنة أي سرعان ما ترجع الأمور إلى طبيعتها من غش وخديعة المهاجرين حتى توفى مولاي عبدالله عام ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وكذلك في حياه أخيه عبدالملك بن الشيخ المأمون، إلى أن توفي ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م وضعفت السلطة[2] ، وهنا ينشط اليهودي في هذه الظروف، حيث ضعفت السلطة، ومستعمر رابض على سواحل البلاد وداخلها، لذلك يقولز صاحب المخطوط: «وقام الشر في كل ناحية... حيث لم يبق للسعديين سوى مراكش أحوازها.. وعلى فاس السيد محمد الحاج، والقائد أحمد بن صالح بن عبدالرحمن الليريني[3] ، وولي القضاء بها الفقيه أبا عبدالله المري التلمساني[4] ، وجاءه المهاجرين لممارسة عاداتهم في الكذب عليه بأحقيتهم بالسكنى بالقيسارية وامتهان الحرف الرفيعة، خصوصًا بعد خروج الملك من أيدي السعديين إلى أيدي العوام، ويكذبون فيقولون: «قد أفتوا لنا الفقهاء بإباحة ذلك» ثم يربطون ذلك بقولهم: «خذ هذه الهدية لك... والفقهاء وهذه الهدية للأمير سيدي محمد الحاج أبعثها له وأستأذنه بإباحة ذلك» وللمزيد من الضغط يقولون: «ونجعل لك وله خراجًا في كل سنة فأفتي لهم بذلك»[5] .

وجاءت للفقيه المري تحذيرات بعدم الموافقة للمهاجرين بإعمار الأسواق، ولما رفض جمع القائد أحمد بن صالح الليريني أعيان أهل فاس، وأخبرهم بما فعل الفقيه المري، فقام عليه أعيان أهل فاس، ووبخوه وشتموه ومنعوه من القضاء والإمامة، ولولا خوفهم من السيد محمد الحاجي لقتلوه ونهبوا داره، ولولا ذلك لعمر المهاجرين القيسارية والأسواق واحترفوا الحرف الرفيعة، ولعلاقة

---

(١) قصة المهاجرين ورقة ٦ب، ٧أ .

(٢) قصة المهاجرين ورقة ٧ب .

(٣) أحمد بن صالح بن عبدالرحمن الليرني: كان رئيس عدوة الأندلس. انظر السلاوي: الاستقصا، ج٧، ص٣٥ .

(٤) الفقيه عبدالله المري التلمساني: لم يتمكن الباحث من الحصول على ترجمة له.

(٥) قصة المهاجرين ورقة ٧ ب.

الفقيه المري بالأمير أبقاه في تولية القضاء فقط، ولكن منع المهاجرين واستمر إلى أن تولى الفقيه سيدي محمد بن أحمد ميارة[1] وشكوا له المهاجرين، فانتصر لأمرهم، وألف كتابًا في ذلك أسماه: «نصيحة المغتربين وكفاية المضطرين بالتفرقة بين المسلمين بما لم ينزله رب العالمين ولا خبر به الصادق الأمين ولا ثبت عن الخلفاء المهديين، ولضعف نفس هذه الفقيه أسقط فتاوى من قال بالمنع من هذا الكتاب، رغم كثرتهم أجاز الفقهاء الذين أفتوا لهم بالبقاء[2].

ورغم ذلك استقر الوضع بالمنع إلى أن تولى الحكم السلطان الرشيد العلوي الحسني السلجماسي (١٠٤١-١٠٨٢هـ/ ١٦٣١-١٦٧٢م)[3] ، ودانت له المغرب، وشكا له المهاجرون، ولكن رفض في بادئ الأمر أخذًا برأي أغلبية الفقهاء، إلا أن اليهود استطاعوا أن يضغطوا عليه عن طريق فائدة بن الأحوال وهو من المهاجرين، وكان متولي فاس بعد أن قتل أبي صالح الليريني، وتوسط للمهاجرين فائدة بن الأحوال الذي استخدم النساء اليهوديات وألاعيبهم، حيث قامت اليهودية، وتدعى فاطمة بن أحمد برشوة زوجة الرشيد العلوي الحسني السجلماسي تساوي ثلاثة آلاف دينار، فتراجع السلطان وسمح لهم بالإعمار، واحترفوا الحرف الرفيعة[4] ، ولرد المبالغ المدفوعة في الرشوة، قاموا بالخديعة والغش، وعامة فاس تخاف من التظلم خوفًا من فائدة بن الأحوال، وفاطمة بنت الأعراض المسيطرين على السلطان وزوجته بالهدايا والتحف والعطايا[5] ، واستمر الوضع على ذلك إلى نهاية المخطوط.

---

(١) الفقيه سيدي محمد بن أحمد ميارة: ولد عام ٩٩٩هـ ودفن بداره، كان حريصًا على العلم وتحصيله ونشره بين الناس وتفصيله، له عدة مؤلفات وأجوبة وشاعت هذه التآليف وانتشرت، وقد خلا الزمان من مثلها واعترف أهل الأمصار بفضلها. للمزيد انظر محمد بن الطيب القادري: نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني عشر، الرباط، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج٢ ص٥٤ .

(٢) قصة المهاجرين ورقة ٨ ب.

(٣) السلطان الرشيدي العلوي الحسني السجلماسي: كان وجيهًا عند أهل سجلماسة وسائر بلاد المغرب حيث كانوا يقصدونه في المهمات والأزمات، لذلك بايعه أهل سجلماسة عام ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، وقام بعدة فتوحات شملت بلاد المغرب، ثم تولى الحكم واستمر إلى أن توفى عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م . انظر السلاوي: الاستقصا ، ج٧، ص٢٨، ١٢ .

(٤) قصة المهاجرين ورقة ٨ب، ٩أ .

(٥) نفس المصدر ورقة ٩ أ.

نماذج من خداع اليهود المهاجرين بالقيسارية:

يستعرض مؤلف المخطوط نماذج من ألاعيب اليـهود بالقيسارية، والتي وسعت الهوة بين المسلمين واليهود ليس في القيسـارية والأسواق فقط، بل في أماكن عبادة المسلمين، كما أظهر المؤلف مدى كذب اليهود وخداعهم بالأفعال التي توصي بمدى التقوى والسماحة، ولكن بالأعمال تكتشف ألاعيبهم فمن هذه الألاعيب:

١- جاء رجل أعرابي فباع أغنامه في أحد أسواق فاس، وذهب إلى القيسارية ليودع المال بها حتى يفـوت العيد خوفًا من أن تسرق منه أثناء قضـاء العيد بفاس، فوجد رجلاً مـسنًا له وجه حسن، وثياب حسن بيض، وله لحية مـا بين منكبيه قد صفـاها الشيب، وبيـده مصحـف يتلوه، وله صوت حسن، لا تـقدر أن تمل من سماعه لحسن صوته وتلاوته، فلما سمعه الأعرابي يقرأ القرآن، ورأى من حاله ما أعجبه فقال: لا نبدل بهـذا غيره، عند هذا أضع أمانتي، فطلب منه أن يضع أمانته في بادئ الأمر، ثم سرعان ما قبل وقبضها منه،وانصرف الأعرابي حتى فات العيد وأتاه وطلب منه أمانته، فأنكر إنزالها عنده ، وامتنع عن ردها له، فخرج الأعرابي لا يدري أين يذهب ولا ما يصنع. . . وبمعونة مولانا الرشيد وأمين السوق صعدوا إلى حانوت الذي فيه الأمـانة، وبعد التفتيش وجدت الأمانة بعـينها، فقبض على الخائن وطاف به في السوق وغرمه ألف مثـقال، ولإثارة قضية تواجدهم أشار على القاضي فطلب من الـرشيد إبقاءهـم بالقيسـارية والأسواق ويضع على حوانيـتهم علامات يمتـازون بها ليكون المشتري منهم على حـذر، واتفق على وضع كلخة - قطعة من خشب- على الحانوت، وتركوا في الأسواق والقيسارية[1] .

٢- والخديعة الأخـرى أن ابن زاكور وهو رجل مسن حسن الجـسم له لحية بيضـاء قد صباها الشـيب ملأت ما بين منكبـيه، وثياب عليـه بيض إذا رأيته لا تعـدل به غـيره، مـلازم للصـلاة بالقـرويين حتـى أوقاتهـا لا يفـوته وقت من الأوقات، وكان له عكاز من الخـيزران يتوكأ عليه عنـد المشي في الطريق وغيره إلى المسجد، وبرأسه من جهـة قبضة اليد خيزران كبرى مجوفـة، وبرأسها ثقبة

(١) قصة المهاجرين ، ورقة ٩ب، وورقة ١٠أ.

صغيرة جدًا إذا أمسك العكاز بيده جعل إبهامه عليها، ويملأ النقبة في كل وقت بالنجاسة، ويأتي مسجد القرويين للصلاة به، فإذا وصل باب المسجد قلب العكاز وقبضه من أعلاه من الجهة التي بها الحربة، مظهرًا بذلك التخوف على حصر المسجد من التلوث لكي لا يصيبها من الحربة من تراب الطرق، وهذا من تورع يظهره للناس وتنزل النجاسة التي في جوف الخيزران، فكان يصنع ذلك لتقطر منه النجاسة على الحصر فتنجس بحيث لا تصح صلاة المسلمين، فلما أراد الله افتضاحه بفعله ذلك، كان هناك صبي صغير جالس بإزاء سارية- أحد أعمدة المسجد- فرأى ما يقطر من الخيزران على حصر المسجد، فأخبر الناس بذلك فقلبوا القطرات فوجدوا فيها ثقبة صغيرة بها أثر نجاسة التي تقطره، فقبضوا عليه وطافوا بالأسواق ومنعوه من الدخول للمساجد، بعد أن كان الناس يقبلون يده ويطلبون منه الدعاء لهم عند الفجر، وعند التنقل وأدبار الصلوات[1].

٣- وخدعة أخرى يقوم بها ابن طاوي من أقدم المهاجرين إسلامًا، وكان يحترف خرازة البُلغ في غاية الحسن والصنعة بحانوته، وامتاز بعدم الغش، والناس يقصدونه للشراء لحسن صناعته وقناعته في الثمن، ولا تجد عنده بلغة قط إلا مسبقًا عليها، وكان يفصل ويسد عليه الغلاف الأسفل في حانوته وحده، ويخرز في حانوت آخر ولا يخدم معه إلا المهاجرين، وكان الناس يمرضون بأرجلهم، ولا يعرفون ما السبب، ثم إن أحد الناس أعطى بلغته البالية لخراز البالي- القديم- ففتق نعالها فرأى بين الفراشة رقعة كاغد على قدر الفلس، فجذبها فوجد مكتوب فيها بخط رقيق «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فذهب بالبلغة والرقعة إلى الشيخ القصار، وكان هو الإمام يومئذ بجامع القرويين، وبالبحث وجد أن شغل ابن طاوي، ووجد في حانوته البلاغي كلها مكتوبة يكتب ويجعل المكتوب بين النعل والفراشة[2] . ويقتصر مؤلف

---

(١) قصة المهاجرين ورقة ١١٠أ، ب١١١أ.

(٢) المصدر السابق، ورقة ١١١أ، ب.

المخطوط بهذه الآلاعيب من غش المهاجرين بقوله: «ومن هذا المعنى أمور كثيرة تركتها لطولها»[1] ، ثم ينهي المؤلف مخطوطته بسرد سريع عمن ورد من قول الفقهاء بالمنع ومن قال بالجواز، وتعاد الكرة مثلما يعاد موضوع الجواز والمنع، في قيام الفقيه عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي المالقي الفهري بتأليف أحسن من تأليف سيدي محمد ميارة من حيث إثبات الحجة وأوضح دليلاً، وفي النهاية يؤكد مؤلف المخطوط أن المهاجرين استمروا يحملون العلامات (الكلخة) إلى أن توفى مولانا إسماعيل[2] ، وبعده اختل النظام وراح الناس في قلة من الدين، وكثرت الفتن والحروب والكروب، واستولى على المدينة الجور والنهب، وكثرت المظالم والمكوس والمغارم الثقيلة، وولي أمر فاس من ليس أهلاً لذلك، حتى قام المهاجرون بقلع الكلخة من غير منازع في ذلك، ويرجع ذلك لعدم قدرة أحد من أبناء مولاي إسماعيل على إقرار النظام وحل الأزمة السياسية والتنظيمية لشئون البلاد، حيث عم البلاد الاضطرابات التي أفسدت الحياة وانعكاس ذلك على المهاجرين[3] . بعد وفاة مولاي إسماعيل وهنا تنتهي أحداث المخطوط.

❀❀❀

(١) قصة المهاجرين ، ورقة ١١ب.

(٢) مولاي إسماعيل مارس السلطة كنائب عن السلطان الرشيد بفاس وأحوزها، وعرف إسماعيل بالصرامة وعدم التسامح تجاه الذين يعملون على تكدير النظام وأمن السكان، بويع بالسلطة عام ١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م، وكان عمره ٢٦ عامًا، قام بعدة حملات على الثوار إلى أن استقر الوضع في البلاد، توفي عام ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م. للمزيد انظر إبراهيم حركات: مرجع سابق، جـ٣، ص٣٢-٦٢ .

(٣) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، ج٣ ص٦٣ .

الخاتمة

كان التواجد اليهودي بالمغرب مواكبًا للمد الفينيقي، وازداد مع الاضطهاد الروماني لليهود في العالم القديم، فهاجر اليهود إلى أبعد مكان فيه، هو أقصى الغرب حيث تخف يد السلطة فتكاثروا في بلاد المغرب وخاصة الأقصى، فلما فتح العرب بلاد المغرب لاحظوا مدى تواجدهم بها، وعند بناء مدينة فاس أقرهم العرب كأهل ذمة مستقرين معهم، لكن سرعان ما غلب على اليهود طبعهم في الغش والخداع، فاستغلوا تعاطف المسلمين معهم لكونهم ذمة في حماية المسلمين فأخذوا يغشون ويتحايلون على القوانين الشرعية، وتسامح المسلمين لا جدوى منه معهم.

لذلك أقدم صاحب المخطوطة لرصد تاريخ هؤلاء الأقلية، وما كانوا يقترفونه من أفعال، فتناول نشاطهم التجاري والحرفي سجال ما يجري في فاس، رغم تواجدهم في عدة أماكن أخرى، ولم يتطرق لأعيادهم وثقافتهم .

ونتيجة لهذه الدراسة وجدنا لليهود دورًا كبيرًا في الصناعة والحرف، خاصة الحدادة والصياغة وسك العملات، حرف اشتهر بها اليهود في المغرب، فكانت هذه الصناعات شبه قاصرة عليهم، ورغم أن هذه الحرف يصعب الغش فيها إلا أنهم غشوا فيها، مما أثار حفيظة الفقهاء، فطالبوا السلاطين والخلفاء بصدور الأوامر للمحتسب والشرطة بمنع اليهود من ممارسة هذه الحرف، والتحول إلى صناعات أخرى يقل فيها ضرر غشهم فتكالب اليهود على الثراء السريع والكسب غير المشروع جعلهم يمتهنون بعض الحرف التي لا يقبل عليها المغاربة المسلمون بكثرة.

هذا ما جعل بعض الكتاب اليهود يتهمون المسلمين بترك الحرف الدنيئة لليهود، ولكن بالبحث والدراسة ثبت أن يهود المغاربة مشاركين في أغلب الحرف والصناعات .

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

١- الإبشيهي: شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح (ت٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)

- المستطرف في كل فن مستطرف، المكتبة التجارية ، القاهرة .

٢- الإدريسي: أبو عبد الله محمد بْن عبد الله بن إدريس (ت٥٥٨هـ/ ١١٦٢م)

- نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٣- ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م).

- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبدالوهاب بن منصور، الرباط ١٩٩١م، بيوتات فاس الكبرى، الرباط ١٩٧٢م .

٤- البكري: أبو عبيد (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) .

- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مكتبة المثنى، بغداد.

٥- ابن تيمية:

- الحسبة في الإسلام، دار الشعب، القاهرة .

٦- الحميري: محمد عبد المنعم (قام جمعة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م):

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان ١٩٨٤م.

٧- الحسن الوزان: ابن محمد الوزان الفاسي، المعروف باسم ليو الأفريقي (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م).

- وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار المغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ١٩٨٣م .

٨- ابن الخطيب: لسان الدين (ت٧٧٦هـ/ ١٣٦٤م).

- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام، أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٦٤م .

٩- ابن خلدون: عبدالرحمن (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرية، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبى (ت٥٩٥هـ/ ١١٩٨م).

- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال، تحقيق: محمد عمارة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٣م.

١١- ابن أبي زرع: أبو الحسن بن عبد الله الفاسي (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م):

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط ١٩٨٢م.

- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، الرباط ١٩٧٢م.

١٢- السلاوي: أحمد بن خالد الناصر (ت١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):

- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء ١٩٥٥م.

١٣- الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م):

- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

١٤- ابن عذاري: المراكشي: أبو العباس أحمد بن محمد (ت القرن ٧هـ/ ١٣م).

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٨٣م.

١٥- أبي العرب: محمد بن تميم الخشني (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م):

- طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

١٦- أبو الفدا: الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م):
- تقويم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد .
١٧- القادري: (محمد بن الطيب) .
- نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني عشر، الرباط، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١٨- ابن القاضي: أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م):
- جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة، الرباط، ١٩٧٣م .
١٩- القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبدالله القاهري (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، مصر.
٢٠- الكراسي: محمد (ت٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م):
- عروسة المسائل فيما لبني وطاس من فضائل، تقديم عبدالوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٣م .
٢١- المراكشي: عبد الواحد (ت٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) :
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة .
٢٢- ابن مرزوق:
- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيوسي بيقرا، الجزائر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١ م.
٢٣- مارمول كربخال: (ألف الكتاب في النصف الثاني من القرن السادس عشر الميلادي):
- أفريقيا، ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر، دار المعرفة، المغرب، ١٩٨٩م.

٢٤- مجهول: (ت في القرن ٦هـ/ ١٢م):
- الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، دار الشئون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.
٢٥- مجهول: (أندلسي من أهل القرن الثامن الهجري):
- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار، عبدالقادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب ١٩٧٩م.
٢٦- الملزوزي: أبي فارس عبد العزيز (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م):
- نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المغرب، ١٩٦٣م.
٢٧- الوفراني:
- نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، منشورات إرنست لوروكس.
٢٨- ياقوت الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله الحموي (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
- معجم البلدان، دار صادر، بيروت.

❁❁❁

ثانياً: المراجع العربية:

١- إبراهيم حركات:
- المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، المغرب، ٢٠٠م.
٢- إبراهيم القادري بوتشيش:
- الإسلام السري في المغرب العربي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.
٣- أحمد مختار العبادي:
- من مظاهر الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، عالم الفكر، مجلد١١، عدد١، الكويت ١٩٨٠م.

٤- بوشارب أحمد:

- التجربة الاستعمارية بدكالة ودور بعض الفئات الاجتماعية في إرساء قواعدها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبدالله ، فاس، عدد ١ المغرب، ١٩٧٨م.

٥- جوابتاين:

- دراسات في التاريخ والنظم الإسلامية ، تعريب عطية القوصي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٠م.

٦- حاييم زعفراني:

- ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان، عبدالغني أبو العزم، المغرب، ١٩٨٧م.

٧- صالح محمود صالح:

- الإنسانية والصهيونية والتلمود، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨٢م.

٨- عبد العزيز بن عبدالله:

- الموسوعة المغربية، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، المغرب، ١٣٦٩هـ/ ١٩٦٧م .

- معطيات الحضارة المغربية، المغرب، الرباط، ١٩٦٠م .

٩- عبد السلام بن سودة:

- دليل مؤرخي المغرب، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٠م .

١٠- عبد الكريم كريم:

- المغرب في عهد الدولة السعدية، الرباط، المغرب، ١٩٧٧م .

١١- عز الدين أحمد موسى:

- النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق في مصر، ١٩٨٠م.

١٢- عطا أبو رية:

- اليهود في المغرب الأقصى، دار الكلمة، سوريا، ١٩٩م .

١٣- محمد الحبيب بن خوجة:

- يهود المغرب العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٣م .

١٤- محمد حجي:

- الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب، ١٩٧٨م.

١٥- محمد رواس قلعجي:

- الاحتراف وأثره في الفقه الإسلامي، المركز العالمي لأبحاث الاقتصاد الإسلامي، جدة، ١٩٨٤م .

١٦- محمد المنوني:

- المصادر العربية لتاريخ المغرب، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس ، المغرب، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

❀❀❀

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

1- Hirschberg:

A History of the Jews in Norh Africa, Volume 1, Leiden 1974 .

2- Gerher:

Morcocco, London, 1965 .

3- Grawzel Solomon:

A History of the Jews, America, 19

❀❀❀